شفيق السحيمي (الحلقة 3)

جب أن تقال كاملة في حينها

عنفوان السياسة من داخل الممارسة الفنية. حين قهره وضعه
سا لعقود من الزمن. وحين أتعبه الاغتراب عاد للمساهمة في
ن نذكر منها «الكيرة»، و«حميدو» و«الشرادي»، و«المنزه» و«العين
وجع التراب».

شفيق السحيمي أيام الهيبي

البلد يحتاج إلى مشروع مجتمعي يعطي اعتبارا للمواطن المغربي ولعلاقاته الإنسانية، مشروع يكون واضحا لكل المغاربة

ي بعضا من هذا، لكنك حاليا لا يمكنك أن
ل إنك يساري وإنه بإمكانك أن تحكم وأن
ح في تدبير شؤون البلد دون أن تكون لك
ة وخبرة بالفعل في مجال التسيير، أما
ما لا تكون لك خبرة صلبة في التسيير فأنت
ا كنت لا تستحق حتى مسؤولية تدبير محل
ري فبالأحرى شؤون وطن بكامله.

البلد يحتاج إلى مشروع مجتمعي يعطي
بارا للمواطن المغربي ولعلاقاته الإنسانية،
روع يكون واضحا لكل المغاربة، فحين يدعي
سي أنه بإمكانه القيام بأشياء هائلة، وأنه
لص للبلد، وأنه من سيخلص الشعب من
ؤس، ثم يتسلم زمام الأمور دون أن يكون
ا بكيفية تدبيرها بشكل إيجابي، ويراكم
خطاء الفادحة، وهذا ما يؤدي إلى قتل آمال
س مما يدفعهم إلى التخريب. إن الحقيقة
ب أن تقال كاملة في حينها، ومن يوجد
منصب معين لا يجب أن يتشبث به بكل
رق، حتى وإن كان ذلك على حساب الآخرين،
ساسي بنظري هو أن يوجد هذا الطرف أو
مشروعا مجتمعيا حقيقيا يخرج البلد من
زق الناتج أساسا عن كون من يحكم سبق
قال للناس إنه حين سيتحمل المسؤولية
حقق إنجازات عديدة، إلا أنه لم يكن مؤهلا
ك نهائيا. قد يكون الأمر مقبولا لو كان من
حمل المسؤولية يصارح الناس فيقول أني هنا
أجل تطبيق ما هو موجود من قوانين فقط
س أن يقترح قوانين جديدة لن تطبق بدورها
ا، وهكذا. غياب التطبيق يعني غياب رؤية
قية للأشياء، ويعني كذلك غياب حب الوطن،
ؤسف حقا أن أشياء عديدة لا تشجع على
بق القوانين.

أعود لأقول إني تربيت وسط اليسار
ن انتماء بالبطاقة، وقد أخذت منه جوهره
نساني، وحين أصوت لن أصوت لا لليسار ولن
صوت يوما ما لليمين، وحين أقول اليمين أعني
أقول لأنه موجود بالمغرب، وللأسف فأحزان
بعض ببلدنا تصنع أفراح البعض الآخر. فعدم
تلاك اليسار لمختصين حقيقيين في تسيير
شأن العام لابد أن يساهم في مراكمة أخطاء
دحة، خاصة أن الكثير من الذين جيء بهم
لتحمل مسؤولية البلد جاؤوا من مهن لا علاقة لها بتدبير الشأن السياسي كالتعليم أو المحاماة أو غيرهما.

في فترة من تاريخ المغرب كالسبعينات مثلا لا أحد كان يقول أنا في اليمين. كل الفعاليات وكل المثقفين وكل المبدعين يؤكدون انتماءهم لليسار، وحتى أعمال المنتسبين لليمين كانت تصب في اليسار بمالها وما عليها لأنهم يقدمون أعمالهم فيقع تنافس، ويفجر ذلك الكثير من الأشياء التي قد لا يفجرها عمل يساري. وبالنسبة للمسرح يمكن القول لا وجود لمسرحية رجعية، لأن المسرح يطرح الأسئلة دائما، ونحن لا يمكن أن نعتبر السؤال رجعيا. فالسؤال ليس له انتماء وقد يجيب عنه اليساري واليميني والرجعي. ولأن المسرح هو كذلك لا يتلاءم مع الدين الذي يقول: «يا أيها الذين أمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم»، أما المسرح فيقول بضرورة طرح السؤال عن الماضي والحاضر والمستقبل.

بفرنسا كانت أشياء عديدة مهمة في مساراتي المسرحية كدراسة المسرح بالكلية أو المعهد. فهناك تتاح لك الفرصة لتتعلم أشياء عديدة، ومن الأشياء المهمة التي أستحضرها حين لعبت أول دور مسرحي لي هناك وهو آخر ملوك غرناطة في «مجنون الزا» لأراغون، لأني هنا أيضا سأجد نفسي مع أطروحات أحد كبار اليساريين، وبعد هذا وجدت نفسي وسط أفكار من نفس التوجه لبرتولر بريشت وفاسبندر، وتروتس... أي مع الأعمال التي تهتم بالشأن الإنساني في كل تجلياته والتي تهتم بما هو جميل بالنسبة للناس.

في وقت ما بدأت تتوضح لي المسافة بين السياسي وبين الفنان، وأنني حين أكون في المسرح يجب أن أكون فنانا، قد أكون متسيسا ولكن لا يجب أن أكون سياسيا، ومن حق المتفرج أن يطالبني بما له علاقة بالإبداع والجمالية. من قبل كنا ننظر إلى هذا باعتباره يحيل على البرجوازية وأن الشعب يحتاج إلى كل ما هو جاف وصارم ومباشر، وما يهم برأيي هو أن يعمل الفنان على الجمع بين ما هو جمالي وبين ما هو فكري وله علاقة بقضايا الإنسان.

يتبع

شفيق السحيمي (الحلقة 3)

الحقيقة يجب أن تقال كاملة

شفيق السحيمي مخرج وممثل وباحث وفنان من طينة خاصة عاش عنفوان السياسة من داخل الممارسة الفنية. حين قهره وضعه بالوطن ذهب لحمل السلاح مع المقاومة الفلسطينية، ثم اغترب بفرنسا لعقود من الزمن. وحين أتعبه الاغتراب عاد للمساهمة في إثراء المشروع الإبداعي الوطني. أبدع أعمالا عديدة للمسرح والتلفزيون نذكر منها «الكيرة»، و«حميدو» و«الشرادي»، و«المنزه» و«العين والمطفية»، وكان آخر ما تألق فيه إخراجا وتشخيصا واقتباسا عمله «وجع التراب».

حاوره **حميد تباتو**

– كيف التحقت بالمقاومة الفلسطينية؟

● كانت البداية باستخراج جواز السفر، حيث حصلت مسألة طريفة، ففي أحد الأيام التقيت بشخص يصدر جريدة فنية وأخبرته بأنه بإمكاني أن أنجز له بعض الأعمال الكوميدية للنشر، وهيأت له بعض المساهمات، ولاحقا سألته عن كيفية الحصول على الترخيص لإصدار جريدة، ففاجأني بشروط عادية لأني كنت أنتظر أن يقول لي عليك أن تدرس الصحافة وتعرف أشياء أخرى عديدة، وقد تقدمت بطلبي لوكيل الدولة آنذاك وحصلت على الترخيص الذي اعتمدته لاستخراج جواز السفر الذي كتب فيه أن مهنتي هي «مدير ورئيس تحرير مجلة الحقيقة»، بعد هذا توجهت مباشرة للالتحاق بالمقاومة.

– هل من علاقات ساعدتك على الذهاب إلى فلسطين؟

● لا توجد علاقات محددة، فقد اتجهت أولا إلى الجزائر حيث اشتغلت لمدة بالمسرح الوطني بالعاصمة، ثم قصدت تونس، ثم ليبيا ومن هناك توجهت إلى فلسطين، بعد انتهاء تلك المدة عدت إلى المغرب حيث نزعوا مني جواز السفر، وقد حاولت العودة مرة ثانية فاتجهت من جديد إلى الجزائر ثم تونس وهناك قبضوا علي وأعادوني إلى البلد.

– من استقبلك في فلسطين؟ وكيف تم الاطمئنان إليك كواحد غير معروف لديهم سابقا؟

● في البداية كان اللقاء وكانت الإجابة عن كل الأسئلة التي طرحوها علي، ثم التحقت بالتداريب، وبعد ذلك منح لي السلاح كما كل المقاومين، وقد حضرت مراحل مهمة آنذاك هناك من بينها واقعة أيلول الأسود حيث عشته كاملا وتنقلت بمناطق عديدة بجنوب لبنان وشمال الأردن وفلسطين، ومن المناطق التي كنت بها أذكر: عمراوة، والشجرة، والطرة، والفرديس، والهبارية، وكفرشوبة، ومرج عيون، وكفركلا، وكفر حمامة، وخرجة، وحركة، وحصبية والنبطية...

– هل كنت مع حركة محددة؟

● في البداية كنت مع حركة فتح، ثم التحقت بالجبهة الديمقراطية، وما شجعني أكثر على أن ألتحق بالجبهة هو إمكانية القراءة، لأنه في وقت الراحة يمكنك أن تقرأ كتابا أو جريدة، مع «فتح» كان السلاح هو مهمتنا الوحيدة.

– بماذا أفادتك هذه المرحلة؟

● أفادتني بأشياء عديدة، منها أني كنت أعرف أن السياسي هو من يوجه البندقية، لكن اتضح لي بعد ذلك أن السياسي لا يجب أن يفكر في البندقية، بل عليه أن يبحث عن الحلول السياسية الحقيقية. ربما لو طرح علي الآن أن أعيد التجربة بعقلية الماضي لفعلت، لكن لو تعلق الأمر بعقليتي الحالية لرفضت، لأنه بإمكاني أن أكون مفيدا في مجالات أخرى. آنذاك لم يكن بإمكاني أن أكون مفيدا إلا في ما اخترته، فالتوجيه مهم في كل الحالات، وكلما وجدت من يوجهك في اتجاه إيجابي سرت فيه، ونفس الشيء بالنسبة للاتجاه السلبي.

– ما هي القضية التي يمكنها أن تدفعك لحمل السلاح مستقبلا؟

● أن يتم المس براية وطني، آنذاك تنتهي صورة الفنان والمثقف.

– حين عدت إلى المغرب كان هناك زخم اليسار الجديد. ألم تنتم إلى اتجاه معين؟

● حين عدت سنة 1971 رجعت إلى المسرح الذي كنت اهتم به سابقا، والتحقت بـ«المسرح الباسم»، هذا على الرغم من أنني كنت لا أطيق التشخيص كما لا أطيقه حاليا، لكني حين أبدأ أتجاوز هذه الحالة. في «المسرح الباسم» وجدت نفسي أمارس المسرح في إطار حركتي «23 مارس» و«إلى الأمام» حتى وإن لم أكن منتسبا لهما تنظيميا. وكنت أتحرك وسط الفكر والتصورات اليسارية الجذرية، لكن صداقاتي كانت في الغالب مع منتسبين للاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، وسابقا الاتحاد الوطني. لم أعش الانتماء السياسي لليسار بالبطاقة وكنت دوما أرفض لغة الخشب، وهو ما سمح لي بأن أبقى فنانا فأصبح يهمني أكثر أن أترجم ما هو إنساني سواء في اليمين أو في اليسار، فالجانب الإنساني هو الأهم في الإنسان. طبعا اليسار بنى المشروع الإنساني، واليمين بدوره يتبنى بعضا من هذا، لكنك حاليا لا يمكنك أن تقول إنك يساري وإنه بإمكانك أن تحكم وأن تنجح في تدبير شؤون البلد دون أن تكون لك معرفة وخبرة بالفعل في مجال التسيير، أما عندما لا تكون لك خبرة صلبة في التسيير فأنت مهما كنت لا تستحق حتى مسؤولية تدبير محل تجاري فبالأحرى شؤون وطن بكامله.

البلد يحتاج إلى مشروع مجتمعي يعطي اعتبارا للمواطن المغربي ولعلاقاته الإنسانية، مشروع يكون واضحا لكل المغاربة، فحين يدعي سياسي أنه بإمكانه القيام بأشياء هائلة، وأنه المخلص للبلد، وأنه من سيخلص الشعب من البؤس، ثم يتسلم زمام الأمور دون أن يكون عارفا بكيفية تدبيرها بشكل إيجابي، ويراكم الأخطاء الفادحة، وهذا ما يؤدي إلى قتل آمال الناس مما يدفعهم إلى التخريب. إن الحقيقة يجب أن تقال كاملة في حينها، ومن يوجد في منصب معين لا يجب أن يتشبث به بكل الطرق، حتى وإن كان ذلك على حساب الآخرين، فالأساسي بنظري هو أن يوجد هذا الطرف أو ذاك مشروعا مجتمعيا حقيقيا يخرج البلد من المأزق الناتج أساسا عن كون من يحكم سبق أن قال للناس إنه حين سيتحمل المسؤولية سيحقق إنجازات عديدة، إلا أنه لم يكن مؤهلا لذلك نهائيا. قد يكون الأمر مقبولا لو كان من يتحمل المسؤولية يصارح الناس فيقول أني هنا من أجل تطبيق ما هو موجود من قوانين فقط وليس أن يقترح قوانين جديدة لن تطبق بدورها أبدا، وهكذا. غياب التطبيق يعني غياب رؤية حقيقية للأشياء، ويعني كذلك غياب حب الوطن، والمؤسف حقا أن أشياء عديدة لا تشجع على تطبيق القوانين.

أعود لأقول إني تربيت وسط اليسار دون انتماء بالبطاقة، وقد أخذت منه جوهره الإنساني، وحين أصوت لن أصوت لا لليسار ولن أصوت يوما ما لليمين، وحين أقول اليمين أعني ما أقول لأنه موجود بالمغرب، وللأسف فأحزان البعض ببلدنا تصنع أفراح البعض الآخر. فعدم امتلاك اليسار لمختصين حقيقيين في تسيير الشأن العام لابد أن يساهم في مراكمة أخطاء فادحة، خاصة أن الكثير من الذين جيء بهم لتحمل مسؤولية البلد جاؤوا من مهن لا علاقة لها بتدبير الشأن السياسي كالتعليم أو المحاماة أو غيرهما.

في فترة من تاريخ المغرب كالسبعينات مثلا لا أحد كان يقول أنا في اليمين. كل الفعاليات وكل المثقفين وكل المبدعين يؤكدون انتماءهم لليسار، وحتى أعمال المنتسبين لليمين كانت تصب في اليسار بمالها وما عليها لأنهم يقدمون أعمالهم فيقع تنافس، ويفجر ذلك الكثير من الأشياء التي قد لا يفجرها عمل يساري. وبالنسبة للمسرح يمكن القول لا وجود لمسرحية رجعية، لأن المسرح يطرح الأسئلة دائما، ونحن لا يمكن أن نعتبر السؤال رجعيا. فالسؤال ليس له انتماء وقد يجيب عنه اليساري واليميني والرجعي. ولأن المسرح هو كذلك لا يتلاءم مع الدين الذي يقول: «يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم»، أما المسرح فيقول بضرورة طرح السؤال عن الماضي والحاضر والمستقبل.

بفرنسا كانت أشياء عديدة مهمة في مساراتي المسرحية كدراسة المسرح بالكلية أو المعهد. فهناك تتاح لك الفرصة لتتعلم أشياء عديدة، ومن الأشياء المهمة التي أستحضرها حين لعبت أول دور مسرحي لي هناك وهو آخر ملوك غرناطة في «مجنون الزا» لأراغون، لأني هنا أيضا سأجد نفسي مع أطروحات أحد كبار اليساريين، وبعد هذا وجدت نفسي وسط أفكار من نفس التوجه لبرتولر بريشت وفاسبندر، وتروتس... أي مع الأعمال التي تهتم بالشأن الإنساني في كل تجلياته والتي تهتم بما هو جميل بالنسبة للناس.

في وقت ما بدأت تتوضح لي المسافة بين السياسي وبين الفنان، وأنني حين أكون في المسرح يجب أن أكون فنانا، قد أكون متسيسا ولكن لا يجب أن أكون سياسيا، ومن حق المتفرج أن يطالبني بما له علاقة بالإبداع والجمالية. من قبل كنا ننظر إلى هذا باعتباره يحيل على البرجوازية وأن الشعب يحتاج إلى كل ما هو جاف وصارم ومباشر، وما يهم برأيي هو أن يعمل الفنان على الجمع بين ما هو جمالي وبين ما هو فكري وله علاقة بقضايا الإنسان.

يتبع